

الاستاذ ميخائيل نعيمة بحر واسع بعد العوز لا يعرف معه من أين تبدأ ومن أي لحة تعرف لابل هو كحل صين . فيه القمم العديدة وكل قمة تضاهي الأخرى حمالاً وورفاً فأبي قمة تنسلق وأي زهرة تشم *
ونحن نسعى في لقائنا هذا إلى استنصاح الأستاذ نعيمة . لا الأديب الفيلسوف الذي نعهد . وإنما الأستاذ المرابي الذي نطمح إلى الاستماع إلى آرائه التربوية . على الحبل الحديد ينشد بهذه الآراء فتكون نبراساً له في بناء ذاته ونساء شخصيته وعطاءاته .



تصوير الفوتوار - قطار

بكثير ، وهو مدار تتلاشى فيه فكرة الزمان والمكان ، ولا يبقى هناك غير ديمومة أولها الأزل واخرها في الأبد ، وكل تربية لا تأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار هي تربية ناقصة ، والتربية الصالحة هي التي تدل الإنسان على هدفه وعلى الوسائل التي تتحكه من بلوغ ذلك الهدف .

٢ - إذا كانت هذه غاية التربية . فما هو دور المعلم ؟

قلت في البداية إن الإنسان معقد أفضع التعقيد ، والمرابي الصالح هو الذي يحاول أن يفهم طبيعة التلميذ الذي يريه فلا يكلفه فوق طاقته ، بل يتدرج به برفق ومحبة ، من كائن صغير عالمه يكاد لا يتعدى بيئته إلى كائن يفكر في البلدة التي ولد فيها ثم في البلاد التي تنتمي إليها تلك البلدة ، ثم في الأرض وكل من عليها وما عليها ، ثم في الكون الأوسع الذي ليست هذه الأرض سوى كرتية صغيرة بين بلايين الأجرام السماوية الدائرة في الفضاء .

فالتربية يجب أن تهتم بمجد الطالب اهتمامها بروحه وبالوظائف الكثيرة التي أودعه إياها الحياة . فتربية بدنية وعقلية وتربية روحية وتربية جمالية وتربية إنسانية شاملة يحسن الطالب معها بأنه فرد في عائلة كبيرة جداً هي الإنسانية على بكرة أبيها ، وهذه التربية لا بد لها من مرابين استطاعوا أولاً أن يربوا أنفسهم ، فالمرابي الصالح وحده يستطيع أن يخلق تلامذة صالحين ، أما الذي لم يرب نفسه هو بعد فكيف له أن يربي غيره ؟

لذلك كان لزاماً على المهتمين بالتربية أن يخلقوا أولاً مرابين صالحين .

٣ - لاشك أن التربية تقوم على عناصر أساسية وهي : التلميذ - المعلم - الأهل ما العلاقة التي يجب أن تقوم بين هذه العناصر الثلاثة ؟

قد يكون في استطاعة الدولة أن تجد المعلمين المناسبين لشتى مدارسنا ،

١ - أستاذ نعيمة . ما الغاية من وجود الإنسان ؟ وما غاية الإنسان في الوجود ؟ ما التربية التي تساعد الإنسان على تحقيق ذاته وتحقيق غايته في الوجود ؟

الإنسان معقد أفضع التعقيد ، فهو في أسفله ينحدر إلى درمحات الجحيم ، وهو في أعاليه مشوق إلى أن يعاقب الله عناقاً لا انفكاك بعده ، فالتربية الصالحة هي التربية التي تأخذ بعين الاعتبار كل ما في الإنسان من خير وشر ، والمرابي الصالح هو المرابي الذي يعرف ما في أسافل الإنسان وأعاليه ، ويحاول أن يوجهه التوجيه الصالح لبلوغ أقصى أهدافه ، وما عسى هدف الإنسان أن يكون . ذلك ما نستطيع الوصول إليه من خلال أشواق الإنسان فهو يشاق أن يعرف كل ما أغلق عليه الآن وأن يتحكم بكل ما يتحكم فيه ، ذلك هو هدفه من وجوده ، وهذا الهدف لا يمكن بلوغه بقفزة واحدة وفي فترة محدودة من الزمان ، فالزمان كله في اعتقادي هو البساط الممدود أمام الإنسان لبلوغ أهدافه وما الأعمار تطويها سوى مراحل قصيرة لتلك الرحلة التي تستغرق أجيالاً . وأنا لا أستطيع أن أتصور لها يطالب الإنسان بأن يعرفه معرفة تامة في خلال سنوات معدودات .

فإذا كان يستحيل علينا أن نتقن علماً إنسانياً واحداً في خلال عمر واحد . فكيف بنا ندرك أو نتقن العلم الأعلى والأعظم وهو معرفة الله !

لذلك أقول إن القوة التي ندعوها الله قد بسطت للإنسان الزمان كله ليدركه في النهاية ، ويتحد فيه كما يدرك النهر البحر ويصبح واحداً مع البحر .

ولذلك تراني أعتق فكرة التخصص . والتخصص يعني عودة الروح إلى الأرض كرتة بعد كرتة لتأخذ كل ما تستطيع الأرض أن تعطيه لها من معرفة . وإذا ذلك تستغني عنها لتعيش في مدار أوسع من مدار الأرض



الذي يولد في بيت يتحكم فيه النصار بين أبيه وأمه أو نعر لقمة العيش فيه . ويد الدولة أقصر من أن تطال البيوت وأن تخلق آباء صالحين وأمهات صالحات . لذلك تبقى التربية البيئية خارج نطاق الدولة ، وتبقى أبعد بكثير من أن يتحكم فيها مجموع . هناك عقريون ولدوا في أفقر العائلات ، وهناك مجرمون ولدوا في أغنى العائلات . لذلك تبقى التربية البيئية أمراً لا يمكن أن نتحكم فيه ، لا نحن كأفراد ولا الدولة كمؤسسة ، والتي تمثلنا بعض التمثيل وما دمنا لا نستطيع أن نتحكم في التربية البيئية فإن كلامنا على التربية ، يبقى تخمينات أكثر منه وقائع . أما النتيجة فهي مغلقة بالأسرار التي لا يستطيع كشفها لا المعلم ولا الكاهن لا ولا حتى النبي . إن العالم الأمثل الذي ن فكر فيه لا زال بعيداً جداً عن التحقيق ذلك لأن لكل إنسان حياة يشترك فيها مع باقي الناس وحياة لا يشاركه فيها أي إنسان ، ولذلك تبدأ التربية بالفرد قبل أن تتناول المجموع أما التربية التي ترمي إلى خلق مجتمع صالح فسنتقى حلماً من الأحلام ولكنه حلم للذي ونحن ساعون إلى تحقيقه . ولعمري فالحياة كلها حلم ! وجمالها في أنها تدفعنا دفعا إلى تحقيق أحلامنا . وحسبنا أن يحقق واحد منا ذلك الحلم ليغلبوا لنا نراساً نهتدي بنوره ونسعى إلى الوصول إليه بقفزة واحدة فما اهتدى إنسان



ولكنه ليس في استطاعة الدولة أن تختار الآباء والأمهات ، فهؤلاء تربطهم روابط ، لا دخل للدولة فيها على الإطلاق ، ولئن استطاعت الدولة أن تخلق معلمين صالحين فليس في استطاعتها على الإطلاق أن تخلق آباء وأمّهات صالحين . يبقى أننا أعجز من أن نعرف لماذا يولد هذا الولد وله مؤهلات ، بعينها ، ليس لنا أي يد في تكوينها فلكل مخلوق حياته ، وطريق يسير عليها في حياته ، وليس لنا أي يد في اختيار تلك الطريق وفي الإمكانيات التي تجهز بها الحياة كل مخلوق من مخلوقاتها . ووظيفة المدرسة من هذا القبيل لا تختلف كثيراً عن وظيفة القابلة .



واحد إلى الحق وإلى الحرية وإلى المعرفة التي هي بحق معرفة ، إلا كان حافراً لنا للحاق به . وحسب الإنسان أن يجاهد للوصول إلى هدفه ، فلو هذا الجهاد لكانت الحياة بغير معنى .

٥ - هل من كلمة تودون التوجه بها إلى المسؤولين عن التربية في لبنان ؟

وددت لو أن المسؤولين عن التربية في لبنان يتزهدون عن الغايات السياسية والشخصية والاعتبارات الطائفية والإقليمية ، وأن يكرموا المعلم بحيث يستطيع أن ينصرف إلى عمله دون أن يفكر من أين تأتيه لقمة يشبع بها هو وعياله . وأضيف إلى ذلك فأقول أنه من الضروري أن تختار الدولة أحسن المعلمين لمدراسها وأن تشرف على المدارس الخاصة عساها أن تربي في طلابها حب لبنان بالدرجة الأولى ثم حب الإنسان في لبنان ، لأن الإنسان هو التروة الماثلة التي لم نحسن استغلالها بعد .

فالقابلة تتلقى المواليد من أرحام أمهاتهم ، ولا يد لها على الإطلاق في توجيه أولئك المواليد . كذلك المدرسة ، تتقبل التلاميذ وتعطيهم ما لديها من المعلومات ولكنها لا تستطيع أن توجه حياة التلميذ إلى هدف معين بعينه ، فلكل تلميذ مؤهلات لا يستطيع المعلم أن يوجهها إلى هدف بعينه ولكنه يستطيع أن يعطي التلميذ بعض المعلومات التي تساعد في شق طريقه والسير في ذلك الطريق حتى نهايته . وكيف لأني معلم أن يعرف غاية الحياة من وجود هذا الطالب أو ذاك ، فالناس كما قال الشاعر :

« صناديق مغلقة وما مفاتيحها إلا التجارب »

ما اشبه المعلم من هذا القبيل بالزارع الذي يزرع ، الذي يبذر من كفه ولكنه لا يستطيع ان يتبع كل حبة أين تقع وماذا سيكون نصيبها . وأنا عندما افكر في حياتي الخاصة لا يسعني إلا أن أذكر بالخير جميع المعلمين الذين كانت لهم يد في تربيتي ، ولكنني لا أعرف معلماً واحداً كان يستطيع أن يتنبأ لي بماذا ستكشف عنه حياتي ، فهذه الأمور كلها ليست في يد المعلم بل في يد الأقدار التي تتحكم بحياة كل منا . والتي هي في الواقع نتيجة حتمية لما علمناه وفكرنا فيه واشتريناه في حياتنا الحاضرة وفي حيوات سابقات .

٤ - ما هو دور العائلة في التربية ؟

قد يكون للسلطة يد في خلق المدرسة ووضع البرامج للمدارس ولكنه ليس في يد السلطة على الإطلاق أن تقول هذا الرجل : تزوج هذه المرأة . ونحن نعرف أن فواجع الزواج أكثر من أن تحصى ، والطفل الذي يولد في عائلة عيشها هانيء وخبزها موفور هو غير الطفل